ويروى ان سلطان صقليه ارق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له انفذ الان الى افريقية يأتونى باخبارها فعمر القايد المركب فارسله لوقته فلما اصبحوا اذا بالمركب فى موضعه لم يبرح فقال له الملك اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم امتثلت امرك وانفذت المركب فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فامر باحضاره فجآ ومعه رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب حيث امرت فقال ذهبت فى المركب فبينا انا فى جوف الليل والرياح تقذف واذا انا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى اسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين فوقفنا بالمركب وسالناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام فاشرفت على الموت ومازلت اصيح حتى اتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من اسهر سلطانا وارقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله غيره ولا معبود سواه

قال الشاعر

فلا تجزعن ان اظلم الدهر مرة • وان اعتكر الليل يوشك بالفجر

وحكى سيدي ابو بكر الطرطوشي رحمه الله فى كتاب سراج الملوك قال اخبرني ابو الوليد الباجي عن ابي ذر قال كنت اقرا على الشيخ ابي حفص عمر بن احمد بن شاهين رحمهم الله ببغداد بحزام الحديث فى حانوته رجل يبيع العطر فبينا انا جالس معه في الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله في يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له ادفع لى اشيا سماها له من العطر فاخذها في طبقه ومضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما كان فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال ابو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاسباب فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما جمع منها ودفع له ما عدم منها فاقبل الطواف على الشيخ يصبره وقال له لا تجزع فامر الدنيا ايسر من ذلك فقال الطواف انظر ايها الشيخ ان جزعي لضياع ما ضاع لقد علم الله اني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه اربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعه ولكن ولدلي في هذه الليلة ولد فاحتجت في البيت الى ما يحتاج اليه النفسا ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت ان اشتري بها حوائج النفسا فابقى بلا راس مال ولا اقدر على التكسب فقلت لنفسي اشتري بها شيا واطوف به صدر نهاري فعسى ان استفضل شيا اسد به رمق اهلي ويبقى راس المال اتسبب فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت وقلت ما عندي ما ارجع به اليهم ولا ما اتكسب

وعلمت

وعلمت انه لم يبق لنا الغدا منهم فهذا الذي اوجب جزعي قال الشيخ ابو ذر رحمه الله وكان رجل من الجند جالسا على باب داره يستمع الحديث فقال للشيخ ابي جعفر رحمه الله يا سيدي اريد ان تأتي بهذا الرجل وتدخلوه الى منزلي فظننا انه يعطيه شيا قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال لحقت من جزعك كلاما دعليه القصة فقال له الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان بها من التجار فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال له وما علامة الهميان وفي اي موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة فقال له الجندي اذا رايته عرفته قال نعم فاخرج الجندي هميانا ووضعه بين يديه فقال هذا هميانى وعلامة صحة قولى ان فيه كيت وكيت من الفصوص ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال له الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال له الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير واكثر فخذ منها لك وانت منها في حل ونفسي طيبة بذلك فقال له الجندي ما كنت لآخذ على امانتي مالا فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنيا اللهم اغفر ذنوبنا ويسر امورنا برحمتك يا ارحم الراحمين قال الرياشي رحمه الله ما اعتراني هم الا فانشدت قول ابي العتاهية

شعر

هي الايام والغير • وامر الله ينتظر

اتياس ان ترى فرجا • فاين الله والقدر

ما قلت ذلك الا سري عني وتنسمت ريح الفرج

وقال آخر

لعمرك ما كل التعطل ضائر • ولا كل شغل فيه للمرء منفعة

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى • الا رب ضيق في عواقبه سعة

ويلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في التهنية والبشاير وكتب بعضهم الى اخيه وقد اتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتبته الالواح وامتزج بالارواح وعد في جملة البشائر العظام وجرى في العروق وتمشى في العظام وكان خالد بن عبد الله القسري اخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك اثر الخلافة ولا تموت حتى تليها قال انا ان وليتها فلك العراق فلما ولي اتاه فقام بين الصفين فقال يا امير المومنين اعزك الله بعونه وايدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعلك لا منك على اهل الاسلام نعمة وعلى اهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك اشوق منك اليها وانت لها ازين منها لك وما مثلك ومثلها الا كما قال الاحوص رحمه الله حيث قال

شعر

واذا الدر زان حسن وجوه • كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدين اطيب الطيب طيبا • ان تمسه اين مثلك اينا

Copyright © King Saud University